مجلة الدراسات الإيرانية

دراسـات وأبحـاث علميـة متخصصـة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة الثامنة – العدد التاسع عشر – أبريل 2024م

تصدر عن

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

أمريكـــا اللاتينيـــة..
سـوق جديـدة للطائـرات الإيرانيـة المسيَّـرة

أمـــل مختـــار

باحثـــة في شـؤون أمريكـــا اللاتينيـــة، بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية

الملخص:

تُختبَر الطائرات المسيَّرة الإيرانية في عديد من الصراعات، بما في ذلك الصراع في أوكرانيا، والمواجهات غير المباشـــرة بين إيران وخصومها في الشـــرق الأوســـط، وتحديدًا الولايات المتحدة وإسرائيل. ويتيح ذلك لإيران فُرصةً لرفع مبيعاتها من هذه الصناعة، التي حقَّقت فيهـــا تقدُّمًا وخبرات مهمَّة، وهو ما أصبح يمثِّل مصدر تهديد حقيقيًّا، خصوصًا في ظل رفْع القيود على مبيعات الأســـلحة الإيرانية. وتُعَدُّ دول أمـــريكا اللاتينية إحدى الوجهات، التي تزايد فيها الطلب على هذه المسيَّرات، لا سيّما الدول التي تسيطر عليها حكومات يسارية ولديها علاقات متطوِّرة مع إيران، وهو ما يطرح تســـاؤلاتٍ عديدة. وتحاول هذه الدراسة أن تقدِّم إجابات واضحة لتلك التساؤلات، أهمُّها ما يتعلَّق بأهمِّية الطائرات الإيرانية في سوق المسيَّرات العالمية، وتنامي اهتمام بعض دول أمريكا اللاتينية بهذه التكنولوجيا العسكرية الإيرانية، والمصالـــح المُتبادَلة من جرّاء التعاون في هذا الميـــدان، فضلًا عمّا يفرضه من تداعيات على إيران، وعلى هذه الدول.

الكلمات المفتاحية:

إيران، أمريكا اللاتينية، المســـيَّرات الإيرانية، التحالف العسكري، فنزويلا، كوبا، بوليفيا، البرازيل.

Latin America: A New Market for Iran's Drone

Abstract:
Iranian drones are seeing action in various conflicts, including Ukraine, and are utilized in proxy confrontations with adversaries like the United States and Israel in the Middle East. This presents Iran with an opportunity to capitalize on its advancements in drone technology, potentially increasing sales, particularly as restrictions on Iranian arms sales are lifted. Latin American nations, especially those with leftist governments and ties to Iran, have shown interest in acquiring these drones, sparking inquiries addressed by this study. The study aims to provide insights into the significance of Iranian drones in the global market, the rising demand from certain Latin American countries, and the mutual benefits derived from cooperation in this domain. Additionally, it delves into the repercussions for Iran and the involved nations resulting from such cooperation.

Key Words: Iran, Latin America, Iranian drones, military alliance, Venezuela, Cuba, Bolivia, Brazil

المقدِّمـــة

السياسة النشِـــطة لإيران داخل محيطها الإقليمي وخارجه، خصوصًا في أيّ مكان قد يمثِّل فُرصةً لتوطيد العلاقات لمواجهة الولايات المتحدة والعُزلة المفروضة على النظام الإيراني، يبـــدو أنَّها أصبحت نهجًا ثابتًا وراســـخًا في السياســـة الخارجية الإيرانيـــة. والمدى الذي وصل إليه النظام الإيراني، من تعزيز وزيادة وجوده في أمريكا اللاتينية -تحديدًا بالنســـبة للحكومات اليسارية المناوئة للولايات المتحدة الأمريكية- أمرٌ ملفت للنظر. اليوم، تخطَّى التعاون بين إيـــران وحلفائها في أمريكا اللاتينية مرحلة العلاقات الدبلوماســـية والثقافية والتجارية، إلى إبرام الاتفاقات العســـكرية، وبيْع المنتجات العسكرية الإيرانية، وتحديدًا الطائرات المسيَّرة لدول المنطقة.

في السابق، كانت إيران تزوِّد عددًا قليلًا من حلفائها في الشرق الأوسط بالطائرات المسيَّرة، وتعمل الآن على توسيع نطاق بيعها لدول وجماعات جديدة في مناطق مختلفة من العالم، خصوصًا بعد اختبارها بقوَّة، وتطويرها خلال الحرب الروسية- الأوكرانية. لم تعُد إيران مورّدًا إقليميًّا فقط، بل أصبحت مصدِّرًا عالميًّا للأسلحة المتقدِّمة. ومن بيلاروسيا في أوروبا الشرقية إلى فنزويلا في أمريكا الجنوبية، رأينا إيران تقدِّم طائرات مسيَّرة يصل مداها إلى 1000 كيلومتر.

ومن ثَمَّ زاد الطلب على شراء المُنتَج الإيراني من هذه المعدَّات العسكرية، وهو الأمر الذي يثير مخاوف الولايات المتحدة بشدَّة، خصوصًا مع تنامي الطلب على التعاون العسكري وشراء المعدَّات الإيرانية في الدول اللاتينية، التي تمثِّل امتدادًا مهمًّا لمصالح وأمن الولايات المتحدة.

أصبحت الطائرات المسيَّرة إيرانية الصُنع منتشرة في كل مكان في ساحات القتال، على مدى السنوات الخمس الماضية، ما أدَّى إلى تغيير طبيعة الحروب. تناقش هذه الدراسة هذا التطوُّر في إنتاج وبيع الطائرات المسيَّرة الإيرانية، ودلالة هذا التوسُّع، إضافة إلى تفسير نمو العلاقات الإيرانية-اللاتينية، وتسارعها مؤخَّرًا نحو التعاون العسكري، في ظل فهْم البُعد الأيديولوجي لتيّار اليسار الحاكم في عدد كبير من دول المنطقة، وتحديد مصالح كلا الطرفين من توطيد التعاون العسكري، وأخيرًا تداعيات هذا النمو السريع في إنتاج وانتشار الطائرات المسيَّرة عمومًا في الصراعات المسلَّحة، والطائرات الإيرانية تحديدًا.

أولًا: دلالة وأهمِّية تطوُّر المنظومة الإيرانية للطائرات المسيَّرة

وفقًا لوكالة الاســـتخبارات الأمريكية، فإنَّ إيران بحلول عـــام 2022م، أصبحت تمتلك أكبر ترسانة من الصواريخ والطائرات المسيَّرة في الشرق الأوسط، وتستطيع إحداث تأثير كبير في أيّ معركة تشارك فيها. كما أنَّ إيران أصبحت مهتمَّة بتوسُّع دائرة مُشتري مسيَّراتها إلى

خارج منطقة الشرق الأوسط، وخارج نطاق الدول إلى الفاعلين من غير الدول. وكتب معهد دراسات الحرب، ومقرُّه واشنطن، في 20 يوليو 2023م، أنَّ قائدًا سابقًا في الحرس الثوري «تفاخر في أكتوبر 2022م بأنَّ 22 دولة –بما في ذلك الجزائر وأرمينيا وصربيا وطاجيكستان وفنزويلا– قدَّمت طلبات رسمية للحصول على طائرات إيرانية مسيَّرة». كما تسارعت وتيرة بناء المصانع لإنتاج الطائرات المسيَّرة الإيرانية، في بلدان أخرى متحالِفة مع إيران[1].

يُعَدُّ السبب الرئيسي في امتلاك إيران هذه التكنولوجيا المتقدِّمة و«المحلِّية الصُنع» من الصواريخ الباليستية والطائرات المسيَّرة ذات القدرات المتفوِّقة والسعر المنخفض، إلى الظروف الصعبة، التي مرَّت بها إيران خلال فترة حرب الثماني سنوات مع العراق في عقد الثمانينيات من القرن الماضي. وذلك أنَّ إيران لم تتمكَّن خلال هذه الحرب من الحصول على أسلحة متطوِّرة، بل فقط الصواريخ القديمة من نظامَي الأسد في سوريا والقذافي في ليبيا، فطوَّرت، من خلال المتخصِّصين المحلِّيين، أسلحتها الخاصَّة ذات التكلفة الأقلّ، وكانت في الصدارة خطوط إنتاج الطائرات الإيرانية المسيَّرة. والآن، على حدٍّ تعبير حلف الناتو، تتفوَّق إيران على دول مثل روسيا، وهي مورِّد رئيسي لمثل هذه الأسلحة[2].

ويقول جيمس روجرز، من معهد كورنيل لسياسات التكنولوجيا: «الطلب على الطائرات المسيَّرة الإيرانية ينمو بمعدَّل قياسي». لقد كانت الحرب الروسية– الأوكرانية بمثابة نافذة تسويق للمُنتَج الإيراني من تكنولوجيا الطائرات المسيَّرة لعديد من الدول، إذ أظهرت الحرب مدى قوَّة مسيَّرات «شاهد 136» و«شاهد 131»، من حيث تحقيق الأهداف العسكرية الروسية.

ومع الحظر الصارم، الذي تفرضه الولايات المتحدة الأمريكية على خطوط التجارة بين روسيا وإيران في المجمل، ومن ثمَّ شراء الأسلحة، تظهر خُطَط لتصنيع الطائرات المسيَّرة الإيرانية داخل مصانع في روسيا وبيلاروسيا، أي نقْل التكنولوجيا وكوادر التصنيع والتدريب الإيرانية بدلًا من بيع المنتج النهائي. وفي فنزويلا، بدأ تنفيذ هذا التوجُّه منذ 12 عامًا، في نهاية عهد هوغو شافيز، وبالفعل أنشئ مصنع لإنتاج الطائرات الإيرانية المسيَّرة داخل فنزويلا. كما زوَّدت إيران إثيوبيا أيضًا بأنظمة الطائرات المسيَّرة منذ عام 2021م، ثمّ السودان بعد اندلاع الصراع الأهلي المستعِر بين قوّات الجيش وقوّات الدعم السريع. وما نشهده الآن هو زيادة انتشار أنظمة الطائرات المسيَّرة في دول أمريكا اللاتينية[3].

ومع أنَّ إيران ليست الدولة الوحيدة، التي تبيع منتجاتها من أنظمة الطائرات المسيَّرة لدول أخرى، لكن السياسة النشِطة لإيران لتسويق منتجاتها في دوائر جغرافية واسعة جدًّا وخارج نطاق الشرق الأوسط، فضلًا عن تزويدها جهات فاعلة غير حكومية بالطائرات المسلَّحة المسيَّرة، من شأنه إضافة بُعد جديد للمواجهات

العسكرية في أماكن مختلفة من العالم. وهُنا يثور التساؤل حول مكمن قوَّة وفاعلية تهديد المنتج الإيراني، ويمكن القول إنَّه يتمثَّل في الآتي:

1. تكتيك الاحتشاد:

تتميَّز الطائرات الإيرانية المسيَّرة بانخفاض أسعارها، مقارنةً بنظيراتها الغربية. من جهة أخرى، تختلف عن دول مُنتِجة أخرى في خريطة انتشارها، بمعنى الأقاليم والدول والفاعِلين، التي تقرِّر إيران بيعها منتجاتها.

باختصار، جزء مهم من السياسة الدفاعية الإيرانية في مواجهتها الممتَدَّة مع الولايات المتحدة الأمريكية، هو تكتيك الاحتشاد (Swarming Tactic)، وهو ما تطبِّقه من خلال منتجاتها المتعدِّدة من الطائرات المسيَّرة. ومن ثمَّ هذا ما يفسِّر المجهود، الذي تؤديه الدبلوماسية الإيرانية في ترويج بيع منتجاتها من الطائرات المسيَّرة على نطاق واسع وبأسعار منخفضة، خصوصًا لدول وفاعلين يمثِّلون تهديدًا مباشرًا للولايات المتحدة أو لإسرائيل.

2. تعدُّد أنواع الطائرات المسيَّرة الإيرانية:

أبرز تلك الأنواع، طائرات «أبابيل-3»، و«مهاجر-6»، و«صاعقة»، و«شاهد»، و«إتش-110»، و«فطروس»، و«كرار»، و«كمان-22». وقد حظِيَت مجموعة الطائرات المسيَّرة «شاهد» بأكبر قدر من الاهتمام من وسائل الإعلام الدولية، بسبب استخدامها من القوّات الروسية في الحرب المستمِرَّة في أوكرانيا، إذ تُشير تقارير صادرة عن القوّات الجوِّية الأوكرانية في نهاية 2023م إلى أنَّ روسيا استخدمت 3700 طائرة مسيَّرة من طراز «شاهد» خلال عامين من الحرب.

كما أنَّ الصحافة الأمريكية والإسرائيلية تُشير إلى أنَّ جماعة «أنصار الله» (جماعة الحوثي)، قد استخدمت طائرات «شاهد136-» في ضربات بالبحر الأحمر وإيلات. كما أنَّه، وفي إطار العدوان الإسرائيلي على غزة، تعرَّضت القواعد الأمريكية في العراق وسوريا والأردن لهجمات من المليشيات الشيعية المسلَّحة في المنطقة، باستخدام طائرات «شاهد» المسيَّرة إيرانية الصُّنع[4].

3. البُعد القانوني في بيع الطائرات الإيرانية المسيَّرة:

بعد إبرام الاتفاق النووي بين إيران وست دول، هي الولايات المتحدة وروسيا والصين وبريطانيا وفرنسا وألمانيا، عام 2015م، صدر قرار مجلس الأمن رقم 2231، الذي يحظر على إيران تصدير الصواريخ الباليستية والطائرات المسيَّرة، التي يزيد مداها على 300 كيلومتر وحمولة تزيد على 500 كيلوغرام حتى أكتوبر 2020م. وهذا يعني أنَّ عمليات البيع التي جرت بين إيران والدول كافة والمليشيات المسلَّحة بداية من يوليو 2015 حتى أكتوبر 2020، تمَّت بالمخالفة لقرار الأُمم المتحدة، بينما بعد أكتوبر 2020م، أصبحت المعاملات الإيرانية بهذا

الصدد قانونية بصورة كاملة[5]، لكن تظلُّ المعاملات المالية المُصاحِبة لعمليات البيع ودفع مستحقَّات المبيعات والشحن والنقل لهذه المعدَّات، مُحاطة بكثير من القيود المالية الدولية، بسبب استمرار العقوبات الاقتصادية الأمريكية على إيران، وعلى عدد لا بأس به من مُشتري هذه المنتجات العسكرية، مثل روسيا وفنزويلا.

4. الحرب الروسية-الأوكرانية مسرحًا للطائرات الإيرانية:

كانت روسيا مصدرًا رئيسيًّا لبيع الأسلحة لدول كثيرة من الجنوب، لكن غزو أوكرانيا استهلك موارد روسية هائلة، كما فرَضَ مجموعة من العقوبات، ما أدَّى إلى فراغ في عالم مبيعات الأسلحة والمعدّات العسكرية، في وقت يتَّسم بعدم الاستقرار العالمي. ونتيجة لذلك، أصبحت إيران خِيارًا أكثر جاذبية بالنسبة للدول، التي كانت تعتمد في السابق على إمدادات روسيا من المعدّات العسكرية. علاوةً على ذلك، يمكن للوضع الحالي أن يخلق مشروعًا مشتركًا بين إيران وروسيا، قد يزيد مبيعات الأسلحة التقليدية المُتبادَلة بسبب قُدراتهما الإنتاجية العالية[6].

كما أنَّ ساحة الحرب في حدِّ ذاتها كانت تجارب حية للتكنولوجيا الإيرانية، سواء بهدف تطويرها، أو حتى الدعاية لبيع مزيد منها لدول أخرى. بعد بداية الغزو الروسي لأوكرانيا، وافقت إيران على توريد طائرات «شاهد 136» لروسيا، التي شُوهِدت لأول مرَّة في ساحة المعركة في خريف عام 2022م. وفي غضون أسابيع قليلة، انتشرت طائرات «شاهد» المسيَّرة على نطاق واسع في أوكرانيا. وتتمتَّع طائرات «شاهد 136» المسيَّرة بهيكل خفيف من ألياف الكربون، ويصل مداها إلى أكثر من 1500 ميل، ما يمكِّن روسيا من التحليق بها من بيلاروسيا في الشمال والمناطق المحتلَّة في الجنوب، لاستهداف المُدُن الأوكرانية، ويمكنها حمل ما بين 20 و40 كيلوجرامًا من المتفجِّرات، أي نحو ضعف طائرة الـ131، وما يكفي لإحداث أضرار كبيرة بالمباني والمعدّات الحربية. وفي نوفمبر 2022م، استهدفت روسيا العاصمة كييف بـ75 مسيَّرة من طراز «شاهد 136»، لكن الجدير بالذكر أنَّ قُدرات الدفاع الجوِّي الأوكرانية تمكّنت من إسقاط معظمها، نحو 71 طائرة. لكن أيضًا من المهم معرفة أنَّ إيران -بسبب تحليل نتائج العمليات في الحرب بين روسيا وأوكرانيا- طوَّرت محرِّكًا نفّاثًا أسرع، وألحقته بنسخة مطوَّرة من طائرتها المسيَّرة، أطلقت عليها اسم «شاهد 238»، في نوفمبر 2023م. وهذا الطراز الجديد قادر على الطيران بسرعة تزيد على ضعف سرعة الطائرة 136، التي يُعتقَد أنَّه جرى إطلاقها على أوكرانيا في يناير 2024م[7].

ما سبق، يعني أنَّ الحرب الروسية-الأوكرانية المستمِرَّة إلى الآن لم تكُن فقط نافذة تسويقية للمنتجات الإيرانية لدول أخرى من العالم، بل هي مختبر واقعي لتطوير المُنتَج الإيراني من هذه الصناعة.

ثانيًا: الحكومات اليسارية بوَّابة رئيسية للتحالفات العسكرية مع إيران في النصف الجنوبي الغربي من العالم

لســـنوات طويلة، كانت الولايات المتحدة حريصة على الحد من وجود أيّ نفوذ عســـكري لدول أخرى في أمـــريكا اللاتينية. كانت أزمة الصواريخ الكوبيـــة في أكتوبر 1962م، خلال الحـــرب الباردة، هي اللحظة التي اقتربت فيها الولايات المتحدة والاتحاد الســـوفييتي من الصراع النووي. نشـــأت أزمة الصواريخ الكوبية، بسبب مقاومة الولايات المتحدة الوجود العسكري للاتحاد الســـوفييتي في أمريكا اللاتينية، وفي كوبا تحديدًا. اليوم، ومنذ وصول الأحزاب اليسارية إلى ســـدَّة الرئاســـة في عدد كبير من دول أمريكا اللاتينية بعد التحوُّل الديمقراطي، باتت إيران بوجودها التجاري والثقافي والعسكري شديدة القُرب من الولايات المتحدة الأمريكية[8].

بـدأ المـد اليسـاري فـي دول أمـريكا اللاتينيـة مـع وصـول هوغـو شـافيز لرئاسـة فنـزويلا فـي 1999م، ثـمّ وصـول أقـوى حكومتيـن يسـاريتين فـي أمـريكا اللاتينيـة، حكومـة لـولا دا سـيلفا فـي البرازيـل ونسـتور كريشـنر فـي الأرجنتيـن فـي 2003، وغيرهمـا مـن الحكومـات اليسـارية فـي شـيلي ونيكارغـوا وبوليفيـا والإكـوادور... إلـخ، حتـى اتّسـم العقـد الأول مـن القـرن الحـادي والعشـرين باللـون الـوردي[9] لـدول أمـريكا اللاتينيـة. وقـد تزامنـت هـذه الفتـرة مـع رئاسـة محمـود أحمـدي نجـاد فـي إيـران، ونظـرًا للسياسـة الخارجيـة النشِـطة لأحمـدي نجـاد، والتوجُّـه اليسـاري اللاتينـي الواضـح لمواجهـة الهيمنـة الأمريكيـة، فـضلًا عـن انشـغال الولايـات المتحـدة بحروبهـا فـي الشـرق الأوسـط، كانـت هـذه هـي الفتـرة الذهبيـة لتعميـق التعـاون والوجـود الإيرانـي فـي دول المنطقـة. كان تعاونًـا تجاريًّـا ووجـودًا ثقافيًّـا وتنسـيقًا سياسـيًّا إلـى أبعـد الحـدود، كمـا ظهـرت بـوادر للتعـاون فـي المجـال العسـكري بيـن إيـران وبعـض الـدول اللاتينيـة، علـى مـدار عشـرين عامًـا، اتّسـمت بالتفـاوت بيـن دولـة وأخـرى، ويمكـن الإشـارة إلـى بعـض ملامحـه -خصوصًـا فـي مـا يتعلـق بالتعـاون فـي مجـال تكنولوجيـا الطائـرات الإيرانيـة المسـيَّرة- علـى النحـو التالـي:

1. فنزويلا:

في أواخر عام 2022م، خلال زيارة نيكولاس مادورو إلى طهران، أكَّد كلا النظامين أنَّ لديهما «جبهات تعاون كبيرة» في قطـــاع الدفاع. وقال مادورو لنظيره الإيراني إبراهيم رئيســـي، خلال هذه الزيارة: «أعتقدُ أنَّ الصداقة غير القابلة للتدمير بيننا، ســـتنمو من أجل مستقبل شعبينا[10]».

منـذ تفاقُـم الأزمـة الاقتصاديـة والسياسـية فـي فنـزويلا، التـي كانـت قمّتهـا فـي 2019م، وعندمـا أُعلـن رئيـس البرلمـان الفنزويلـي خـوان جوايـدو نفسـه رئيسًـا شـرعيًّا للبـلاد، بـدلًا مـن الرئيـس المنتخَـب مـادورو، واعتـراف الولايـات المتحـدة بـه رئيسًـا وتجميـد أرصـدة فنـزويلا فـي الخـارج، منـذ ذلـك التاريـخ انتقلـت العلاقـات الفنزويليـة-الإيرانيـة، التـي

كانت بالفعل قوية، إلى مرحلة جديدة. وشكَّلت إيران وفنزويلا شراكةً إستراتيجية متبادلة المنفعة، تعمل على تحصين نظام مادورو في مواجهة الانهيار الداخلي، بسبب الأزمة الاقتصادية الطاحنة والنقص الحاد في توفير السِّلَع الأساسية، والوصول إلى حد العجز شبه التام للدولة ومؤسَّساتها عن أداء واجباتها، وارتفاع أعداد النازحين الفارِّين من فنزويلا، وفي مواجهة أيضًا الإصرار الأمريكي في عهد دونالد ترامب على دعْم انقلاب جوايدو والتخلُّص من مادورو ومن «الشافيزية» بصورة نهائية.

شهِدَ عام 2020م تعاونًا تجاريًّا كبيرًا بين طهران وكاراكس، إذ جرى إرسال ما يصِل إلى 2.35 مليون برميل من البنزين إلى نظام مادورو، مقابل ما لا يقِلّ عن 9 أطنان، أو ما قيمته 500 مليون دولار، من ذهب فنزويلا إلى إيران. وفي ذلك الوقت، نحا كثير من المتابعين إلى تأكيد أنَّ هذا التعاون التجاري له أبعاد عسكرية.

في 6 نوفمبر 2020م، أعلن مادورو عن إنشاء لجنة علمية عسكرية جديدة داخل القوّات المسلَّحة الفنزويلية، مهمَّتها أن تتطلَّع إلى تحديث أنظمة الأسلحة الفنزويلية. وفي حين لم يحدِّد مادورو الأنظمة العسكرية، التي سيُحدِّثها ذكر أنَّ هذه اللجنة الجديدة ستعتمد على مستشارين من روسيا والصين وإيران. ومن المرجَّح أن يفيد الاتفاق الإستراتيجي الأخير، الذي أبرمته طهران مع بكين لمدَّة 25 عامًا وتمديد صفقة الأسلحة لمدَّة 20 عامًا مع موسكو، لجنة الدفاع الفنزويلية الجديدة، ما يؤدِّي إلى إنشاء قوَّة عسكرية متعدِّدة الأقطاب في فنزويلا، تعمل على تحصين نظام مادورو. ويبدو أنَّ إيران هي العمود الفقري لهذه القوَّة الجديدة متعدِّدة الأقطاب، إذ تبني جسرها الجوِّي والبحري إلى فنزويلا، ما يجعل شراكتها الإستراتيجية مع نظام مادورو رُبَّما أنجح استثمار لها خارج الشرق الأوسط[11].

في السنة المالية 2023–2022م، كانت فنزويلا الوجهة الأولى لصادرات إيران في أمريكا اللاتينية، فقد أرسلت بضائع بقيمة 118 مليون دولار أمريكي. وبلغت قيمة الواردات الإيرانية من فنزويلا 816 ألف دولار أمريكي، وتمثِّل هذه الأرقام زيادة بنسبة 200% تقريبًا على قيمة التجارة الثنائية في العام السابق[12]. وتُشير البيانات الصادرة عن شركة كومود يتي إنتليجنس كيبلر إلى أنَّ إيران سلَّمت 28 مليون برميل من مكثَّفات الغاز إلى فنزويلا حتى يناير 2023م[13].

هذه الشراكات التجارية والعسكرية واجهت قرارات العقوبات الأمريكية والدولية على إيران، وأعطت الفُرصة للشركات الإيرانية المرتبطة بالحرس الثوري الإيراني بالوجود خارج الحدود الإيرانية –على الرغم من العقوبات– مثل شركة بارشين للصناعات الكيماوية، التي أُدرجت بشكل بارز في قرار مجلس الأمن التابع للأُمم المتحدة رقم 1747 باعتبارها كيانًا متورِّطًا في برامج تطوير السلاح النووي الإيراني. وشركة «طيران القدس» Qods Aviation الإيرانية، التي توجد الآن بجوار قاعدة «إل

ليبرتـادور» الجوِّيـة فـي مـاراكاي بولايـة أراغـوا الفنزويليـة، لتدريـب الجيـش الفنزويلـي علـى كيفيـة إنتـاج طائـرات مسـيَّرة[14].

وبهـذا تكـون فنـزويلا هي الدولـة الوحيدة –حتـى الآن– التـي تمتلك طائرات مسـيَّرة ذات قُـدرات قتاليـة. وبالفعـل، فـي مـارس 2021م، اسـتخدمت القـوّات المسـلَّحة الفنزويليـة هـذه الطائـرات لقصـف المنشـقّين عـن القـوّات المسـلَّحة الثوريـة الكولومبيـة، فـي ولايـة أبـوري المتاخمـة للحـدود مـع كولومبيـا.

وعلـى الرغـم مـن أنَّ السُّـلطات الفنزويليـة لـم تؤكِّـد قـط اسـتخدام طائـرات مسـيَّرة حربيـة فـي هـذه الواقعـة، فإنَّـه بعـد بضعـة أشـهر، خلال عـرض عسـكري، عرضـت حكومـة مـادورو طائـرات مسـيَّرة ذات قُـدرات هجوميـة.

فـي هـذا العـرض العسـكري، أُعلـن عـن أنـواع الطائـرات المسـيَّرة، المملوكـة للجيـش الفنزويلـي، مـع تأكيـد أنَّهـا معـدّات جـرى تصميمهـا وتصنيعهـا فـي فنـزويلا، وهـي:

■ «أنطونيـو خوسـيه دي سـوكري 100» (ANSU 100)، ذات قُـدرات مراقبـة واسـتطلاع وهجـوم مـزوَّد بقُـدرات مضـادَّة للدبابـات ومضـادَّة للأفـراد.

■ «أنطونيـو خوسـيه دي سـوكري 200» (ANSU 200)، ذات القُـدرة علـى التخفِّـي والمراقبـة العاليـة والاسـتطلاع والهجـوم، وذات قُـدرات لقمـع الدفـاع الجـوِّي للعـدو.

ويُشـير عديـد مـن الخُبـراء إلـى أنَّ طائـرة «ANSU 100» المسـيَّرة الفنزويليـة هـي نسـخة حديثـة مـن الطائـرة الإيرانيـة المسـيّرة «مهاجـر2»، وهـي المسـيَّرة التـي حصلـت فنـزويلا علـى فُرصـة تجميـع 12 وحـدة منهـا، بموجـب اتفاقيـة بيـن إيـران وفنـزويلا فـي 2007م، فـي عهـد شـافيز. وقـد كشـفت صـور الأقمـار الصناعيـة الأمريكيـة عـن المنشـأة، التـي يجـري فيهـا تصنيـع طائـرات «مهاجـر2» المسـيَّرة داخـل مقـرّ شـركة إنتـاج الأسـلحة والذخيـرة الفنزويليـة (Cavim) فـي عـام 2010م. وفـي يونيـو 2012م، خلال بـثّ تليفزيونـي، أظهـر شـافيز طائـرات «مهاجـر 2» المسـيَّرة لأول مـرة، وأُعلـن أنَّ الموظَّفيـن الفنزوليين العامليـن فـي هـذا المشـروع تدرَّبـوا فـي إيـران.

فـي نوفمبـر 2020م، أعلـن مـادورو، خلال بـثّ تليفزيونـي، عـن أنَّ فنـزويلا سـتُصنِّع طائـرات مسـيَّرة مقاتلـة متعـدِّدة الأغـراض. وقـال إنَّ هـذه الأجهـزة سـيجري تصنيعهـا مـن الألومنيـوم الفنزويلـي، بـل سـتُصنَّع للتصديـر[15].

مـن جهـة أخـرى، وخلال الأزمـة الحدوديـة بيـن فنـزويلا وجويانـا فـي إقليـم إيسـيكويبو[16] –المُتنـازع عليـه بيـن الدولتيـن– فـي 28 ديسـمبر 2023م، تبيَّـن أَن فنـزويلا تمتلـك زوارق قتاليـة إيرانيـة الصُّنـع تُعـرَف باسـم «زوارق ذو الفقـار»، وهـي زوارق دوريـة سـريعة، ويمكن أن تصِـل سـرعتها إلـى 52 عقـدة فـي السـاعة.

وعلـى الرغـم مـن أنَّ رئيسَـي فنـزويلا وجويانـا أعلنـا فـي منتصـف ديسـمبر 2023م أنَّهمـا اتَّفقـا علـى عـدم اسـتخدام القـوَّة ضـدّ بعضهمـا، فـإنَّ مـادورو أطلـق فـي 28 مـن الشـهر

نفسه مناورات عسكرية تضمَّنت تحريك نحو 5600 جندي إلى إقليم إيسيكوبيو. ووُصِف ذلك بأنَّه ردّ على «استفزاز» المملكة المتحدة، بعد أن أرسلت السفينة الحربية «إتش إم إس ترينت» إلى جويانا[17].

2. بوليفيا:

تزامن انتهاء حظْر الأسلحة على طهران في أكتوبر 2020م، مع عودة إيفو مورايس، الرئيس الاشتراكي السابق لبوليفيا، من منفاه إلى بلاده. ومن ثمَّ التقى الرئيس السابق مورايس نيابةً عن الرئيس البوليفي الاشتراكي الحالي لويس آرسي، مع مسؤولين إيرانيين في كاراكاس، لإبرام اتفاقية الدفاع الحالية بين طهران ولاباز[18].

إنَّ مورايس اشتراكي ومنتقِد متحمِّس للولايات المتحدة، حتى إنَّه وصف نفسه بأنَّه «كابوس واشنطن». وفي زيارته الأولى إلى طهران في عام 2008م، وصف إيران وبوليفيا بأنَّهما «دولتان صديقتان وثوريتان»، وأنَّهما «يعارضان بشدَّة الهيمنة الأمريكية». وفي عهد مورايس، أصبحت بوليفيا داعمًا صريحًا لإيران في المحافل الدولية. وفي الأُمم المتحدة، أظهرت لاباز اتّجاهها الذي دام عقدين من الزمن، المتمثِّل في دعْم أو الامتناع عن التصويت على القرارات السنوية، التي تُدين إيران، فصوَّتت ضدّ هذه القرارات جميعًا منذ عام 2009م. ومنذ عام 2010م، أعطت بوليفيا أيضًا تأييدها للبرنامج النووي الإيراني. ثم فتَرَت العلاقات بين الدولتين عامي 2019م و2020م، بعد استبدال الرئيسة جانين أنيز، اليمينية الموالية للولايات المتحدة، التي أغلقت سفارة بوليفيا في إيران، بمورايس في مقعد الرئاسة. ومع ذلك، فقد جرى إصلاح العلاقات الإيرانية-البوليفية بسرعة، منذ انتخاب الاشتراكي لويس آرسي. وفي عام 2023م، كثَّفت طهران ولاباز شراكتهما، ووقَّعتا اتفاقية دفاعية مشتركة[19].

في 20 يوليو 2023م، وقَّع وزيرا الدفاع الإيراني والبوليفي على مذكِّرة تفاهم بشأن التعاون في المجالات المشتركة. في البداية، اختار الجانبان عدم نشْر محتوى هذه المذكرة، لذا فإنَّ معظم التعليقات وعناصر الرفض، التي تلت ذلك، هي بالضرورة تخمينية.

الانزعاج الكبير من مذكِّرة التفاهم جاء من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وإقليميًّا من الأرجنتين. عند عقد مذكِّرة التفاهم بين إيران وبوليفيا، كان تيّار اليمين في الأرجنتين لا يزال في المعارضة، ولم يكُن قد وصل إلى الرئاسة بعد، لذلك وصف اليمين -المعارض في ذلك الوقت- الصفقة بأنَّها «إهانة واعتداء على الأرجنتين»، وطالب الحكومة في بوينس آيرس بإدانتها والمطالبة بإلغائها. وقد جاء ذلك الموقف متّسِقًا مع موقف اليمين الأرجنتيني المعارض لإيران بقوَّة، الذي عادةً ما يتّهم الحكومات البيرونية (تيّار اليسار الأرجنتيني) المختلفة، بالتحالف، وأحيانا «التواطؤ»، مع إيران. وبالفعل،

طلبت الحكومة الأرجنتينية اليسارية -في حينها- توضيحات من بوليفيا، بشأن نطاق وحجم الصفقة[20].

بعد أسبوع من توقيع الاتفاق الإطاري بين الدولتين، أفاد وزير الدفاع البوليفي إدموندو نوفيلو، بأنَّ الاتفاق يحتوي على إمكانية الحصول على طائرات مسيَّرة، وزوارق لمراقبة الحدود الإقليمية ومكافحة تهريب المخدّرات، والحماية السيبرانية، فضلًا عن الاستفادة من تكنولوجيا «النانو» و«الجيوماتكس»، دون الخوض في تفاصيل متعمِّقة.

كما أفاد وزير الدفاع البوليفي بأنَّ ما أُثير من الولايات المتحدة والأرجنتين من شكوك ومخاوف حول هذه الاتفاقية اشتمل على معلومات خاطئة كثيرة، إذ إنَّ الهدف الرئيسي من امتلاك بوليفيا هذه المعدَّات ليس الهجوم على جيرانها، أو أيّ أهداف قتالية، لكن بهدف تأمين الحدود ومواجهة عصابات المخدّرات بالدرجة الأولى، خصوصًا أنَّ إيران قدَّمت لبوليفيا عروضًا لمعدّات متطوِّرة، تستطيع التغلُّب على صعوبة ووعورة الجبال والجغرافيا في بوليفيا. وقال نوفيلو: «لقد عرضوا نموذجًا للطائرات المسيَّرة، التي قد تكون لديها القُدرة على تنفيذ مراقبة الحدود، بنفس الفعالية في الارتفاع». وأشار الوزير أيضًا إلى اهتمام بوليفيا بالحصول على المنتجات الإيرانية المتقدِّمة من القوارب ومعدّات الملاحة، التي تستطيع أداء دوريات في أنهار البلاد لمكافحة التهريب والاتّجار بالمخدّرات. وأعرب الوزير أيضًا عن اهتمام بلاده بالتعاقد مع إيران لعمل صيانة للطائرات والهليكوبتر البوليفية، التي تحتاج بالفعل إلى الصيانة، مشيرًا إلى أنَّ بلاده لا تمتلك هذه القُدرة الفنِّية.

من جانب آخر، اعتبر الوزير البوليفي السابق كارلوس سانشيز بيرزاين، أنَّ هذا الاتفاق هو «خيانة عُظمى للبلاد»، ذلك لأنَّ الثمن الحقيقي، الذي ستدفعه بوليفيا، من أجل الحصول على هذه المعدّات الحربية، هو معدن الليثيوم الموجود بوفرة في بوليفيا[21].

في المقابل، أجمل نوفيلو ردّه على كل هذه الاعتراضات والمخاوف الداخلية والإقليمية والدولية، بـ«أنَّ هذه الاتفاقية، إنَّما تأتي في إطار الجهود، التي نبذلها لمواجهة تأخُّرنا العلمي والتكنولوجي، وهي لا تشكِّل على الإطلاق تهديدًا يعرِّض السلام أو الأمن في المنطقة للخطر[22]».

وبعد يومين من تصريحات نوفيلو، قال المتحدِّث باسم مجلس الأمن القومي الأمريكي جون كيربي، في مقابلة: «إنَّ إدارة بايدن قلِقة بشأن أيّ تصدير للتكنولوجيا الإيرانية يمكن أن يؤدِّي إلى زعزعة الاستقرار[23]».

3. البرازيل:

بعد تنصيب لويس إيناسيو لولا دا سيلفا رئيسًا للبلاد، منحت البرازيل الإذن لسفينتين حربيتين إيرانيتين، «آيريس مكران» و«آيريس دينا»، بالرسوّ في ميناء ريو دي جانيرو، في الفترة من 23 إلى 30 يناير 2023م. السفينة «مكران» هي ناقلة نفط خام سابقة جرى

تجديدها، لتكون قاعدة بحرية استكشافية، وهي أكبر سفينة في البحرية الإيرانية، وكانت جزءًا من رحلة أولية إلى جنوب المحيط الأطلسي في عام 2021م، قبل الإبحار شمالًا إلى بحر البلطيق في طريقها إلى سانت بطرسبرغ في روسيا. أمَّا السفينة الثانية «دينا»، فهي فرقاطة من طراز مودج مجَّهزة بأنظمة أسلحة متطوِّرة، مثل الصواريخ المضادَّة للسفن والمدافع البحرية وقاذفات الطوربيد. كلتا السفينتين جزء من الأسطول البحري رقم 86، التابع للبحرية الإيرانية.

بدايةً، جرى رصْد السفينتين وهما تمُرّان بالقُرب من المياه الساحلية التشيلية، قبل دخولهما ممرّ دريك، الذي يربط الجزء الجنوبي الشرقي من المحيط الهادي بالجزء الجنوبي الغربي من المحيط الأطلسي بالقُرب من القارة القطبية الجنوبية. ويُقال إنَّ تشيلي منعت الأسطول البحري الإيراني من الوصول إلى مياهها الإقليمية. ويُعَدُّ ممرّ دريك أيضًا القناة الوحيدة بين المحيطات في نصف الكرة الغربي، التي لا تمُرّ عبر المياه الإقليمية السيادية. ثمّ رست السفينتان -كما سبقت الإشارة- بين 23 و30 يناير في ميناء ريو دى جانيرو. بعد ذلك، اختفت السفن الحربية الإيرانية، التي تبحر في جنوب المحيط الأطلسي أوائل فبراير، عندما كانت تقترب من المنطقة الاقتصادية الخالِصة للأرجنتين والميل البحري 201، لتعود إلى الظهور بالقُرب من المياه الإقليمية لأوروغواي بعد أيام.

يرى بعض المحلِّلين الأمريكيين وجود تنسيق صيني-إيراني لمرور السفن الحربية الإيرانية في مياه المحيط الأطلسي، بالقُرب من موانئ وشواطئ أمريكا الجنوبية. ووفقًا للبيانات، التي جمعتها المنظَّمات البحرية التي تراقب الصيد غير القانوني دون إبلاغ ودون تنظيم، جرى التعرف على ما لا يقِلّ عن 433 سفينة صينية بالقُرب من الميل البحري الأرجنتيني 201، وجرى الإبلاغ عمّا يقرُب من 700 ألف ساعة من النشاط السرِّي في المنطقة الاقتصادية الخالِصة الممتَدَّة للأرجنتين، من خلال مجموعة من سُفُن الصيد الصينية منذ يناير 2018م. ووفقًا لبعض المحلِّلين الأمريكيين، فإنَّ هذا يوفِّر الغطاء المثالي للسُّفُن الحربية الإيرانية لإخفاء أيّ نشاط سرِّي قبل دخول المياه الإقليمية البرازيلية[24].

وقد تقود توجُّهات حكومة دا سيلفا، الأكثر ميلًا إلى دول الجنوب وإبراز الاستقلالية عن الولايات المتحدة، فضلًا عن خبرة حكومته السابقة في العلاقة مع إيران، إلى دفْع التعاون مع طهران قُدُمًا. وبينما تنتشر المسيَّرات الإيرانية في دول الاتحاد البوليفاري، فإنَّ ذلك قد يثير اهتمام حكومة البرازيل، ويمهِّد الطريق نحو التعاون في مجال المسيَّرات.

ثالثًا: المصالح الإيرانية والمصالح اللاتينية من تطوير التحالفات العسكرية

في مقابلة مع وسائل الإعلام الفنزويلية خلال زيارته لكاراكاس عام 2023م، عرض الرئيس الإيراني رئيسي رؤيته ودوافعه للتواصل الإيراني مع أمريكا اللاتينية، ولخَّصها في أن أمريكا اللاتينية تُعَدُّ مكوِّنًا مهمًّا في مقدِّمة ما سمّاه «الدول الراغِبة في العيش باستقلال في

مواجهة الهيمنة الأمريكية». وأضاف رئيســـي أنَّ «التعـــاون الإيراني-اللاتيني إلى جانب دول أخـــرى في الجنـــوب العالمي، يمكن أن يكـــون فعّالًا للغاية في إعادة تشـــكيل النظام الجيو-سياسي العالمي لصالح الدول ذات الإرادة المستقِلَّة». علاوةً على ذلك، فهو يصِف العقوبات الاقتصادية الأمريكية، بـ«أنَّها أقرب إلى الهجوم العســـكري على الدول». ويرى أنَّه «من خلال تعزيز العلاقات والتواصل والتعاون بين الدول الواقعة تحت هذه العقوبات، يمكن مواجهة وتقليص أثر تلك العقوبات».

وفي هذا السياق، من الطبيعي أن تكون الدول اللاتينية ذات العلاقات المتوتِّرة مع واشنطن هي الأكثر إقبالًا على توطيد علاقاتها مع إيران. وتشمل هذه الدول: كوبا، ونيكاراغوا، وبوليفيا، وفنزويلا، الأعضاء في ما يُسمَّى «التحالف البوليفاري». ولا يقتصر الأمر على أنَّ هذه الدول تشترك مع إيران في كراهية الولايات المتحدة، بل إنَّ جميعها تخضع أيضًا للعقوبات الاقتصادية الأمريكية الحالية أو المقترحة، كما في حالة بوليفيا[25].

وفي إطار هذا التوجُّه الواضح في السياسة الخارجية للنظام الإيراني، وللحكومات اليسارية اللاتينية، وفي مقدِّمتها دول التحالف البوليفاري، يمكن فهم التنسيق العسكري بين النظام الإيراني وبين عدد من الدول اللاتينية، بل وتنامي هذا التنسيق بوتيرة متصاعدة، كما سبق عرضه في الدراسة.

وعلى هذا يمكن تحديد عدد من المصالح المتحقِّقة لدى الجانبين، من التعاون في نقْل منتجات وتكنولوجيا صناعة الطائرات المسيَّرة الإيرانية إلى حلفائها في أمريكا اللاتينية، على النحو التالي:

1. مصالح إيران:

بدايةً، تمثِّل السياسة الإيرانية في إنتاج وبيع الطائرات المسيَّرة مصدرًا لتحقيق المكاسب الاقتصادية، والأرباح التي تجنيها إيران في هذا الصدد واضحة. وتُشـــير التقديرات إلى أنَّ تكلفة طائرة «شـــاهد 136» الشـــهيرة تتراوح ما بين 20 ألف دولار و40 ألف دولار للوحدة الواحدة. هذه المعلومة إلى جانب التقارير، التـــي تُفيد بأنَّ إيران باعت أكثر من ألفي طائرة مسيَّرة لروسيا وحدها، توضِّح أنَّ طهران تكسب ملايين الدولارات من هذه الصفقات[26].

من جهة ثانية، يجعل وجود إيران على قائمة الدول الأكثر قُدرة وشُهرة في صناعة الطائرات المسيَّرة بأشكال مختلفة ومتطوِّرة من الطُرُز، منافسًا قويًّا للدول الغربية وإسرائيل، باعتبارها مصدرًا لتصدير تقنية الطائرات المسيَّرة لمختلف الدول. على سبيل المثال، ووفقًا لتقديرات معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام، صدَّرت إسرائيل 60% من الطائرات المسيَّرة في العالم بين عامي 1985 و2014م، وكان لديها أكثر من 50 عميلًا في إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية[27]. وهذا

ما اختلف بقوَّة الآن، خصوصًا بعد الاعتماد الكامل لروسيا على الطائرات المسيَّرة الإيرانية في حربها ضد أوكرانيا منذ 2022م.

بالإضافة إلى ذلك، يُعَدُّ بيع أو منْح الطائرات المسيَّرة الإيرانية إلى بعض الدول والجماعات الموالية لإيران ترجمةً مباشرة لمصالح السياسة الخارجية الإيرانية ومشروعها السياسي إقليميًّا ودوليًّا. وبالنسبة لإيران، لا تمثِّل صناعة الطائرات المسيَّرة والأسلحة المحلِّية مصدرًا قيِّمًا للربح الاقتصادي فحسب، بل وسيلة لبناء ما تُسمِّيه طهران «محور المقاومة» ضدّ الولايات المتحدة والغرب وإسرائيل[28].

علاوةً على ذلك، فإنَّ بيع الطائرات المسيَّرة الإيرانية لدول مختلفة لتكون مصدرًا بديلًا عن التكنولوجيا الغربية أو حتى الإسرائيلية، يخدم المساعي الإيرانية لكسر حالة العُزلة المفروضة عليها بموجب العقوبات الاقتصادية.

وأخيرًا، فإنَّ وصول التقنيات العسكرية الإيرانية إلى أقرب منطقة جغرافية من الولايات المتحدة الأمريكية، يصُبّ أيضًا في مصلحة إدارة إيران صراعها مع الولايات المتحدة.

2. مصالح الدول اللاتينية:

تسعى الدول اللاتينية اليسارية أيضًا، من خلال تعميق علاقاتها التجارية والعسكرية مع إيران، إلى كسْر حالة العُزلة، التي تفرضها الولايات المتحدة عليها، وتقليص حجم الخسائر المترتِّبة على العقوبات الاقتصادية.

ونظرًا لسوء الأوضاع الاقتصادية لدول «البديل البوليفاري» تحديدًا -لأسباب عديدة تتعلَّق بسوء إدارة الملفّات السياسية والاقتصادية- فضلًا عن عدائها مع الولايات المتحدة الأمريكية ومحاولات الأخيرة المتكرِّرة للتخلُّص من الأنظمة اليسارية داخل هذه الدول، تصبح فرصة الدول المناوئة للولايات المتحدة، مثل روسيا وإيران والدول الكُبرى خارج سيطرة الولايات المتحدة، مثل الصين، هي الوحيدة في الحصول على الدعم لتخفيف حدَّة آثار التدهور الاقتصادي.

كذلك، نظرًا لتردِّي الأوضاع داخل دول «البديل البوليفاري»، نجِد أنَّها لم تستطِع تطوير منتجات وأدوات ذات تقنية متقدِّمة، سواء في المجال العسكري أو حتى في التصنيع والتعدين، ومن ثَمَّ تصبح إيران فُرصة لهم في الحصول على تقنيات متقدِّمة وكوادر مدرَّبة لتطوير أداء الحكومات اللاتينية هذه، في مجالات مختلفة، منها تشغيل شركات النفط المحلِّية، كما هو الحال مع فنزويلا، التي على الرغم من امتلاكها أعلى احتياطي نفط في العالم، فإنَّها تعاني من عجْز في إدارة عمليات التنقيب والاستخراج والتكرير، بعد تأميمها شركات النفط وافتقارها إلى الكوادر المؤهَّلة. من جانب آخر، فإنَّ تقنيات الطائرات المسيَّرة مفيدة جدًّا في مهمّات الاستطلاع، ومراقبة الحدود،

وتتبُّع ومواجهة عصابات الجريمة المنظَّمة العابرة للحدود، وفي مقدِّمتها «كارتلات المخدّرات»، التي تمثِّل الصداع الحقيقي للدول اللاتينية.

وأخيرًا، فإنَّ التبادل التجاري بين الدول اللاتينية اليسارية -الفقيرة- سواء كان تجاريًّا خالِصًا أو به جوانب عسكرية مع إيران، يُعَدُّ أسهل منه مع دولة غربية أخرى، ذلك أنَّ إيران قد تُنهي هذه الصفقات بمقابل مالي متفاوت، وغالبًا ما يكون من خلال المقايضات بالمعادن الهامَّة، التي تحتاج إليها إيران بدلًا من الدولار، وفي ذلك تسهيل لكلا الطرفين، نظرًا للعقوبات الأمريكية المفروضة.

رابعًا: التداعيات الإقليمية والدولية للتوسُّع من امتلاك هذه التكنولوجيا الإيرانية

من الواضح جدًّا أنَّه على مدار أكثر من عقدين، كانت أمريكا اللاتينية ساحةً واسعة لتلاقي مصالح الحكومات اللاتينية اليسارية، وبعض الدول المناهِضة للسياسة الخارجية الأمريكية، وفي مقدِّمتها إيران وروسيا. وقد انعكس هذا الأمر على التعاون في عدد من المجالات، مثل التبادل التجاري والاستثمار، والتنسيق السياسي في المحافل الدولية، والتصويت في الأُمم المتحدة، وفي المجالات الثقافية والاستخباراتية والعسكرية. هذا التعاون يتراوح بين العلني والسرِّي، وبين القوي والفاتر، من حكومة يسارية إلى أخرى، ومن فترة زمنية إلى أخرى.

لكن المؤكَّد أنَّ السياسة الخارجية الإيرانية حريصة جدًّا على اتّباع سياسة نشِطة ومستمِرَّة، وتتّسِم بالديمومة لتقوية وتعميق وجودها في نصف العالم الغربي. واللاعبون الرئيسيون في هذا المسرح الإستراتيجي هُم كوبا وفنزويلا وبوليفيا ونيكاراغوا، ذلك لأنَّ هذه الدول تمتَّعت بحالة استمرار لوجود التيّار اليساري فيها على مدار سنوات طويلة، ما جعلها تمتلك خطًّا ثابتًا وراسِخًا في العلاقات مع إيران، تقوم بالأساس على التعاون والتعاضد في مواجهة السياسات الأمريكية تجاه هذه الدول وتجاه إيران.

بينما اتّسمت العلاقات الإيرانية مع دول مثل البرازيل والأرجنتين وتشيلي، بحالة من الإقدام والتراجع، وفقًا لطبيعة الحكومة المنتخبة. فبعد أن كانت البرازيل داعِمة بقوَّة لإيران وملفها النووي في عهد لولا دا سيلفا، في فترتَي رئاسته الأولى والثانية منذ 2003م، اختلف الأمر تمامًا في عهد بولسنارو اليميني المتطرِّف في الفترة (2019-2022م). الأمر ذاته ينطبق على الأرجنتين بين حكومات كريشنرز اليسارية وحكومة ماكري اليمينية، خصوصًا في ما يتعلَّق باتّهام إيران وأفراد من حكومتها ومن الحرس الثوري الإيراني، في تفجيرات جمعية آميا AMIA اليهودية في بيونس آيريس عام 1994م.

يحذِّر بعض المحلِّلين المتخوِّفين من الوجود الإيراني على المصالح الأمريكية من أنَّ المرحلة المقبلة ستكون المخاوف من شبكة الموانئ الصينية في قارتي أمريكا

الجنوبيـة وأمـريكا الوسـطى، حيـث بَنَـت الصيـن نحـو 40 مشـروعًا للموانـي. وتتركَّـز معظـم الموانـي، التـي بَنَتْهـا الصيـن فـي المحيـط الهـادي، ويعتقـد هـؤلاء المحلِّلـون أنَّ هـذه الموانـي لـن تـؤدِّي فقـط لفتـح ممرّات نقْـل تجاريـة، بـل لفتـح قنـوات لتحـرُّكات عسـكرية إيرانيـة سـرِّية.

فـي 8 سـبتمبر 2023م، سـافر نيكـولاس مـادورو إلـى بكيـن للقـاء نظيـره شـي جيـن بينـغ. وفـي أعقـاب الزيـارة، التـي دامـت أسـبوعًا، وقَّـع الطرفـان علـى مـا سـمّاه البلـدان «تحالُـف إسـتراتيجي ضـدّ كل الصعـاب»، فـي حيـن عـرَضَ شـي جيـن بينـج دعمـه لكاراكاس «للحفـاظ علـى سـيادتها[29]».

ورجوعًـا إلـى مـا أشـرنا إليـه مـن مخـاوف الأرجنتيـن مـن إمكانيـة امتـلاك بوليفيـا طائرات مسـيَّرة إيرانيـة فـي المسـتقبل القريـب، فـضلًا عـن مخـاوف الولايـات المتحـدة مـن هـذه الخطـوة ومخاوفهـا مـن قبـل مـن امـتلاك فنـزويلا بالفعـل هـذه التكنولوجيـا الإيرانيـة، تجـدُر الإشـارة إلـى أنَّ الأرجنتيـن أيضًـا قـد أبـدت اهتمامًـا بامـتلاك الطائـرات المسـيَّرة، لكنَّهـا اتّجهـت نحـو إسـرائيل. ففـي 27 ديسـمبر 2022م، وقَّعـت الأرجنتيـن وإسـرائيل عقـدًا للحصـول علـى طائـرات مسـيّرة مـن طـراز Hero-120 وHero-30 الإسـرائيلية، مـا يجعلهـا أول دولـة فـي أمـريكا اللاتينيـة تشـتري هـذه السلسـلة مـن الطائـرات المسـيَّرة[30].

وبنـاءً علـى مـا سـبق، يبـدو أنَّ أمـريكا اللاتينيـة قـد تكـون متّجِهـة بصـورةٍ مـا إلـى أن تكـون سـاحة لإدارة الصـراع الإيراني-الأمريكي، ومكانًـا لإدارة التنافـس الصين-الأمريكي، والأخطـر أن تكـون مـرآة جديـدة للصـراع التاريخـي فـي الشـرق الأوسـط. وليـس أدلّ علـى ذلـك سـوى الاهتمـام الكبيـر، الـذي توليـه إسـرائيل علـى مسـتوى الحكومـة وعلـى مسـتوى الكتابـات الأكاديميـة والبحثيـة، بمتابعـة نمـو النفـوذ الإيرانـي فـي المنطقـة.

بصـورة عامَّـة، فمـن الواضـح وجـود تسـارُع كبيـر في مسـار إنتـاج وبيـع الطائـرات الإيرانية المسـيَّرة فـي الآونـة الأخيـرة، والتوجُّـه نحـو أمـريكا اللاتينيـة هـو جـزء مـن سياسـة إيرانيـة أكبـر. بحلـول عـام 2024م، كانـت المصانـع العسـكرية الإيرانيـة قـد أنتجـت آلاف الطائـرات المسـيَّرة المتقدِّمـة، المُسـتخدَمة فـي المراقبـة والاسـتطلاع والقتـال. وأصبحـت الطائـرات المسـيَّرة الإيرانيـة المُباعـة لـدول وجماعـات مـن غيـر الـدول، مشـارِكة فـي عديـد مـن بـؤر الصـراع. منهـا علـى سـبيل المثـال، الهجـوم علـى البـرج 22 فـي 28 ينايـر 2024م، وهـو موقـع أمريكـي فـي الأردن علـى طـول الحـدود العراقيـة-السـورية، مـا أسـفر عـن مقتـل ثلاثـة جنـود أمريكييـن، وإصابـة أكثـر مـن 40 آخريـن. وفـي ينايـر 2024م أيضًـا، أطلـق الحوثيـون فـي اليمـن 18 طائـرة مسـيَّرة إيرانيـة الصُّنـع علـى سُـفُن فـي البحـر الأحمـر.

ومـن قبـل، بـدأت المليشـيات المدعومـة مـن إيـران اسـتخدام الطائـرات المسـيَّرة ضـدّ أهـداف عسـكرية ودبلوماسـية أمريكيـة فـي العـراق وسـوريا، عـام 2021م. وخـلال عامَـي 2021م و2022م،

نُفِّذ ما لا يقِلّ عن 20% من الهجمات، التي شنَّتها المليشيات المرتبطة بطهران، بضربات الطائرات المسيَّرة. كما زوَّدت إيران روسيا بمئات الطائرات المسيَّرة، بدءًا من عام 2022م[31].

الخاتمة

إجمالًا، يمكن القول إنَّ الطائرات المسيَّرة أصبحت تشكِّل التهديد الأكثر إلحاحًا في أيّ صراع مسلَّح الآن، وذلك بسبب تكلفتها المنخفِضة، وتوافرها على نطاق واسع، وإمكانية إنكارها، إذ يمكن إخفاء نقطة مَنشئها، من خلال استخدام مسار طيران مُلتوٍ. ومن ثمَّ يُعَدُّ الانتشار غير المنضبِط للطائرات المسيَّرة العسكرية بصورة عامَّة تهديدًا عابرًا للحدود الوطنية، كما أنَّه عامل مُهم وحاسم في تغيُّر شكل الصراعات وتطوُّرها في مناطق مختلفة من العالم. كما أنَّه من المؤكَّد أنَّ إيران قد قطعت شوطًا طويلًا في مشوار البحث التكنولوجي والتصنيع ضمن مجال الصواريخ الباليستية والطائرات المسيَّرة، كما أنَّها امتلكت ميزة نسبية كبيرة بقُدرتها على تجريب عدد من طائراتها المسيَّرة في الحرب الروسية-الأوكرانية، ومن ثمَّ تطوير خطوط إنتاجها، مستفيدةً من تحليل نتائج عمل معدّاتها في المعركة، إلى جانب أنَّه يجب الأخذ في الاعتبار حجم التنسيق الإيراني-الروسي في هذا المجال، لدرجة عمل مصانع داخل روسيا وبيلاروسيا لإنتاج الطائرات الإيرانية المسيَّرة، فضلًا عن حجم التنسيق الإيراني-الصيني، الذي قد يمثِّل غطاءً ملاحيًّا وتجاريًّا لبيع المنتجات العسكرية الإيرانية. هذا كله يجعل من إيران عاملًا مُهمًّا في مسار عديد من الصراعات الحالية والمستقبلية، ليس فقط في الشرق الأوسط، لكن في مناطق عديدة من العالم، خصوصًا في عالم الجنوب، ومن بينه أمريكا اللاتينية.

المراجع والمصادر

(1) Natasha Turak, «Iran's drones could reach a new South American market as Bolivia expresses interest», CNBC, (31-07-202), accessed March 22, 2024, https://2u.pw/MQrEp8XCl

(2) Mona Hojat Ansari, «Why the West is worried about the growing use of Iranian weapons», Tehran Times, (03-02 2024), accessed March 22, 2024, https://2u.pw/bP9coCn5

(3) Michael Lipin, «Why Iranian Drones Are Appealing to Belarus, Bolivia», VOA, (12-08- 202) , accessed March 22, 2024, https://2h.ae/OKSg

(4) Ata Şahit, «What role would Iranian drones play in any regional crisis?», TRT World, (February 2024), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/UDPA

(5) Emanuel Fabian, «Gallant says Iran in talks with 50 countries to sell missiles and drones», Times of Israel, (17-02-2023), accessed March 21, 2024, https://2h.ae/nIBJ

(6) Danny Citrinowicz, «Iran is on its way to replacing Russia as a leading arms exporter. The US needs a strategy to counter this trend»., Atlantic Council, (02-02-2024), accessed March 20, 2024, https://2h.ae/juVk

(7) Dan Sabbagh, «Deadly, cheap and widespread: how Iran-supplied drones are changing the nature of warfare», The Guardian, (02-02-2024), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/zDMY

(8) Ardalan Mohammadzadeh, «Iranian drones; now in the Western Hemisphere», Tehran Times, (09-09-2023), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/STZd

(9) تسمية الوردي، تُطلَق على التيّار اليساري في أمريكا اللاتينية.

(10) Sabina Nicholls, «Iran's Stealthy Steps in the Region: Latin America under Threat – PART I», Diálogo Americas, (07-02-2024), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/ttHW

(11) JOSEPH HUMIRE, «Iran and Venezuela: A Strategic Partnership», Dialogo Americas, (10-06-2021), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/uheV

(12) Andrew Lumzden, «Media Guide: Iran in Latin America», American Iranian Council, (27-01-2023), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/xJPP

(13) Umud Shokri, «Iran Nurtures Ambitions For The Venezuelan Oil Market», (16-04-2015), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/UhDZ

(14) JOSEPH HUMIRE, «Iran and Venezuela: A Strategic Partnership», Dialogo Americas, (10-06-2021), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/uheV

(15) Ángel Bermúdez, «Cómo Venezuela se convirtió con la ayuda de Irán en el »único país latinoamericano que cuenta con drones armados« », BBC News Mundo, (30-11-2022), accessed March 17, 2024, https://2h.ae/IGDo

(16) إيسيكويبو، هي منطقة تبلغ مساحتها 160 ألف كيلومتر مربَّع، وهي جزء من دولة جويانا المجاورة. وتمثِّل هذه المنطقة الغنية بالنفط والموارد الطبيعية ثلثي المساحة الإجمالية لدولة جويانا. يعيش نحو خُمس سُكّان جويانا في هذه المنطقة المُتنازَع عليها. وازداد الوضع سوءًا، بعد أن أجرت فنزويلا استفتاءً مثيرًا للجدل حول مسألة ضم المنطقة لفنزويلا في 3 ديسمبر 2023م، ثمّ أمر مادورو شركة النفط الحكومية بإصدار تراخيص تسمح لفنزويلا باستغلال موارد المنطقة المُتنازَع عليها.

(17) Alijani Ershad, «Venezuela's Zolfaghar boats are just the latest military equipment provided by Iran», France24, (10-01-2024), accessed March 19, 2024, https://2h.ae/jnOl

(18)- Joseph Humire, «Iran's Weapons Now Reach the Western Hemisphere», The Heritage Foundation, (17-08-202), accessed March 15, 2024, https://2h.ae/LrKy

(19) Andrew Lumzden, «Media Guide: Iran in Latin America», American Iranian Council, (27-01-2023), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/xJPP

(20) Eldar Mamedov, «Fresh Hysteria Over Detail-Less Bolivia-Iran Security Deal», Responsible Statecraft, (01-08-2023), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/HPtu

(21) Luis Marcelo Tedesqui Vargas, «Novillo dice que acuerdo con Irán incluye drones, lanchas y »protección cibernética« , EDICIÓN IMPRESA, (26-07-2023), accessed March 12, 2024, https://2h.ae/yhuF

(22) Edwin Condori, »Ministro boliviano cree que hay «show político» en Argentina tras polémica por su viaje a Irán« , El Deber, (25-07-2023), accessed March 12, 2024, https://2h.ae/hJXj

(23) Natasha Turak, «Iran's drones could reach a new South American market as Bolivia expresses interest», CNBC, (31-07-2023), accessed March 20, 2024, https://2h.ae/hmqw

(24) SFS Team, «VRIC MONITOR NO. 29 | LATIN AMERICA BETWEEN WAR AND PEACE», SFS, (03-03- 2023), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/SlIp
(25) AIC Senior , «Media Guide: Iran in Latin America», (27-01-2024), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/xJPP
(26) Danny Citrinowicz, «Iran is on its way to replacing Russia as a leading arms exporter. The US needs a strategy to counter this trend», (02-02-2024), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/juVk
(27) Garrett Nada, «Explainer: Iran's Drone Exports Worldwide», (12-06-2023), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/bfbT
(28) Natasha Turak, «Iran's drones could reach a new South American market as Bolivia expresses interest», CNBC, (31-07-2023), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/hmqw
(29) SABINA NICHOLLS, «Iran's Stealthy Steps in the Region: Latin America under Threat – PART II», Diálogo Americas, (23-02-2024), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/FhTa
(30) Paul Iddon, «Iran And Israel Are Selling South America Drones. Could Others Soon Follow?», Forbes, (28-07-2023), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/FFeN
(31) Iran primer, Roster of Iran's Drones, (02-02-2024), accessed March 22, 2024, https://2h.ae/fYUc